الرِّسَـــالة ٣٠

شَفَاعَة غَيْرُ مَقبُولة

(Arabic - Unaccepted intercession)

أحبّائى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوضُوعُهُ: **شَفَاعَة غَيْرُ مَقبُولة**

ومِنْ إنجيل لوقا الأصْحَاح السّادِس عَشَرَ نقرَأ الأعْدَادَ مِنَ الثانِى والعِشْرِينَ إلى الحَادِى والثلاثين.

"فمَاتَ المِسكينُ وحَملته المَلائكة إلى حِضْن إبرَاهيم.. ومَاتَ الغنِى أيْضاً ودُفِنَ.. فرَفعَ عينيْهِ فِى الهَاوِيَةِ وَهُوَ فِى العَذابِ ورأى إبرَاهيمَ مِنْ بَعيدٍ ولعَازَرَ فى حِضْنِه.. فنادى وقال: يا أبى إبرَاهيم.. ارحمنى وارْسِلْ لعازر ليَبُلّ طرَفَ إصْبعِه بماء ويبرّدَ لسانى لأنى مُعَذبٌ فيى هذا اللهيب.. فقالَ إبراهيم: يا ابنى اذكرْ أنّكَ استوفيتَ خيْراتِكَ فى حياتِكَ وكذلِك لِعازَرُ البلايا.. والآن هو يتعزّى وأنتَ تتعذب.. وفوقَ هذا كلِه بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أثبتتْ حتى أنّ الذين يُريدون العبورَ مِنْ هَهنا إليكم لا يقدرون ولا الذين مِنْ هناك يجتازون إلينا.. فقالَ: أسألكَ إذاً يا أبتِ أنْ ترْسِله إلى بيتِ أبى.. لأنّ لى خمسة إخوة.. حتى يَشهَدَ لهُم لكى لا يأتوا هُمْ أيْضاً إلى مَوضِعِ العَذابِ هذا.. قالَ له إبرَاهيم: عِندَهم مُوسَى والأنبيَاء. ليَسْمَعُوا مِنهم.. فقال: لا يا أبى إبراهيم!. بَلْ إذا مَضَى إليْهم وَاحِدٌ مِنَ الأمْوَاتِ يتوبُونَ.. فقالَ لهُ: إنْ كانوا لا يسْمَعُون مِنْ مُوسَى والأنبيَاء ولا إنْ قامَ وَاحِدٌ مِنَ الأمْواتِ يُصَدقون!".[١]

إنّ مَا سَجلهُ لوقا البَشيرُ فى إنجيله الأصحاح السادس عشر عن مثل الغنى ولِعازر يلقى ضَوْءاً على الحياة بعد الموت ويكشفُ الكثيرَ مِنَ الأمور التى يتعذر إدراكها بعيداً عنْ هذا المثل. وضِمْن ما يَتضِحُ لنا أنّ الغنىّ المذكور بالمَثل استمرّ يعرفُ لِعازر الذى كان يَعْرفه على الأرض. لمْ يَحْرمْهُ الموتُ مِنْ ذاكرتِهِ أو عَواطفه فهو يَذكرُ إخوته الخمسة وأنّهم أشرار ويخشى عليهم مِنَ العذاب ويتمنى توبتهم. لذلك يتشفعُ مُتضرّعاً إلى أبينا إبراهيم عَساه يقبل إرسال لعازر إليهم. كان الغنىّ فى حياته شأنه شأن أمثاله مُقتنعاً بأنّ كلّ ما يَقتنى مِنْ مالٍ وكلّ ما يَتنعم به كلّ يَوم مُترفها هذا مِنْ حقِه ومِنْ حَقّ بيْتِ أبيه.. فلمْ يَخْلُقْ اللهُ البَرّ والأرجُوَان إلا لهُمْ ولأمثالِهمْ!.[٢]

كان الغنىّ مقتنعاً أنّ لعازر يكفيه ما تفضّل هو بهِ عَلَيْهِ.. لقد أذِنَ له أنْ يُطرَحَ عندَ بابهِ فهذا مأوَاهُ الطبيعى وما خُلِقَ لأفضلَ مِنْه.. ذلك هو الفكرُ الذى يدورُ بخلد كثيرين: أنّ هناك مَنْ يُولدُ ومِنْ حقهِ أنْ توضعَ فى فمِهِ ملعقة مِنْ ذهَبٍ أمّا غيْره فيولد ليعيشَ على أرض تنبتُ له الشَوْكَ والحَسَكَ.. ولنْ تتغيرَ تلك المَفاهيمَ عندهم حتى تنتهى رحلة حياتِهم إذ هناك فى العَالم الآخَر سَيدْرِكُ الحقّ كلّ مَنْ كان يَجْهله.. وسَيقبلهُ كلّ مَنْ كَانَ يَرفضُهُ.. لمْ يكنْ يَعلمُ الغنىُّ عنْ لعَازَرَ أكثرَ مِنْ أنّهُ رَجلٌ مَطروحٌ عندَ بَابهِ مَضرُوبٌ بالقرُوح وكلُّ مَا يَشتهيهِ لعَازَرُ هُوَ فتاتٌ يَسقط مِنْ مائدتِهِ.. ويكفى لعَازَرُ أن الكِلابَ سُمِحَ لهَا أنْ تجتمِعَ مِنْ حَولِهِ لتلحَسَ قرُوحَه.

أمّا هناك فى العالم الآخر فأصبح لعازر فى نظر الغنى يَصلحُ أنْ يكونَ سفيرَ السماء ليأتىَ فى مُهمّة رَسْميّة مُرسلا تابعاً لإبراهيم خليل الله.. إنّهَا ليست إرسالية مِنْ قارةٍ إلى قارةٍ أخرى بل مِنْ أعلى السماء إلى الأرض الدنيا.. عجباً لهذا الرجل!. متى عَرفَ قيمة الإرساليّات حتى يطلب إرسال لعازر ليُحذر إخوته!. لا شكّ أنّه عرفَ قيمتها حين اشتهى أنْ يُبَردَ لسَانه الذى اكتوى باللهيب فى الهاوية.. بطرف إصبع لعازر مُبتلاً بماء!. لعازر الذى يعرفه جيّداً!. لعازر الذى كان يوماً مَا مطروحاً عندَ بابه مضروباً بالقرُوح!.[٣]

واأسفاه!. لقد رفضَ أبونا إبراهيم شفاعة الرجل وأجابه قائلا: "عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا مِنْهُمْ".. يَعنى أبونا إبراهيم بما قاله لطالب الشفاعة لإخوته أنّ كلمة الله الموحى بها لموسى والأنبياء فيها الكفاية لإخوته الخمسة.. فليس هناك مِنْ طريق للخلاص سوى كلمة الله لنسْمَعَها ونحفظها ونعْملَ بها.. تشفعَ الغنىّ مِنْ أجل أخوتِهِ لكى لا يأتوا إلى مكان العذاب الذى هو فيه.. ليتنا نتعقل نحن ونتحذر حتى ننجو مِنَ العذاب الأبدىّ.. لقد

---

[١] إنجيل لوقا ١٦: ٢٢ – ٣١ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] سفر التكوين ٣: ١٨ – ١٩ ، إنجيل متى ٢٥: ٤١ – ٤٦

[٣] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ٢٠

كان وقعُ كلمات أبينا إبراهيم شديداً على ذلك الغنىّ المُعذب فى الهاوية.. فبكلّ تأكيدٍ كانت معاناته مِنَ الحَسْرَة والندَم طوال الوقت.. فليس ما يشغله فى الهاوية عن الاسترسال فى أحزانه وحسرته وندمه على ما فاته!.[1]

لقد ندِمَ الغنى على الفرصة التى ضاعتْ حين كانت كلمة الله بين يديه أثناءَ وجودِه على الأرض ولكنّه أهمَلَهَا!. وإهماله أدّى به إلى الهاوية!. أما إخوته الخمسة فالفرصة متاحة لهم الآن ليسْمَعوا ما تعلنه كلمة الله فى العهدين القديم والجديد ومَضْمُونهَا أنّ: "اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول فإن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم".. لمْ يطلبْ الرجل مِنْ أبينا إبراهيم أن يسمحَ له بالعودة إلى الأرض لينذرَ ويحذرَ إخوته لأنه يعلم أنه يُنفذ حُكماً أبديّاً لا رجعة فيه!. فإنْ كان لمْ يُسْمَحْ له بتبريدِ لسانِه بطرف إصبع ابتلّ بماء!. فكيف يُسْمَح له بالعودةِ إلى الأرض؟!. لقد طلبَ أنْ يُرسلَ لعازر إلى بيتِ أبيه لينذرَ ويحذرَ إخوته. ولكن للأسف كانت شفاعتهُ غير مقبولة!.[2]

أدرك الغنى أن لعازر يتمتع بحقوق وامتيازات وهو يراه فى حِضْن إبراهيم وبصحبة الملائكة الأطهار والقدّيسين الأبرار.. عرف أن مجيءَ لعازر إلى الأرض إذا كان مَسْموحاً به فهو تنازلٌ عظيمٌ مِنْ أبينا إبراهيم ومِنْ لعازر أيضاً.. ألا يجدرُ بنا أحبّائى أن نسجدَ إجلالاً لمِنْ تنازل وتركَ السماءَ بأمجادها وجاء إلى أرضِنا متجسداً.. المسيح يسوع ابن الله.. الذى كتب عنه بولس الرسول فى رسالته إلى مؤمنى فيلبى الأصحاح الثانى يقول: "الذى إذ كان فى صورةِ الله لمْ يحسبْ خلسة أن يكون معادلاً لله.. لكنّه أخلى نفسَه آخذا صورةَ عبدٍ صائراً فى شبهِ الناس.. وإذ وُجِدَ في الهيئةِ كإنسان وضعَ نفسَه وأطاعَ حتى الموت موت الصليب!" ليفتدينا مِنْ عذابِ الهاوية ويهبنا حياة أبديّة نحياها فى النعيم إلى الأبد "وهكذا نكون كل حين مع الرب".[3]

فوجيءَ الغنىّ بأن شفاعته غير مقبولة وباءت أحلامُه وخيالاته بالفشل.. لأنّ مَنْ لا يستجيب عند سماع كلمة الله وهى تدعو للتوبة والخلاص لا يُجديه نفعاً أنْ يرى إنساناً قام مِنَ الأموات!. كان الغنىّ فى الهاوية يتخيل لعازر وقد قامَ مِنَ الأموات وجاء خصيصاً يحملُ رسالة التوبة والخلاص لإخوته. يتخيل لعازر وهو يقرعُ البابَ الذى كان مطروحاً عنده.. فيخرج الإخوة الخمسة المجتمعين للقاء لعازر فيبادرهم بالقول: إنى أحملُ إليكم رسالة مِنْ أخيكم المُعذب فى اللهيب يُناشدكم مِنَ الهاوية: أنْ تتوبوا!. لقد رفضَ أبونا ابراهيم شفاعته قائلا: "إنْ كانوا لا يسمعون مِنْ موسى والأنبياء ولا إنْ قام واحد مِنَ الأموات يُصَدقون". واأسفاه!. كثيرون حتى ذلك اليوم لا يُصَدقون أنّ هناك عذاباً أبدياً ينتظرُ الخطاة الذين لمْ يقبلوا رسَالة الخلاص. ولكن عندَ وصولِهم سوف يُصَدقون.[4]

ليت كلّ خاطئ ما زال يرفضُ رسالة الخلاص يَعلمُ أنّ الذين أتوْا إلى موضع العذاب فى الهاوية.. لا يرغبون أنّ واحداً مِمّنْ يجهلون عاقبة الخطية أن يأتى بعدَهُم إلى تلك الهاوية التى يصطلى هو فيها بنار عذابها الشديد.. ماأعجب تلك الحقيقة!. إنّهُم يتمنون لوْ أتيح لهم أن يصرخوا فى وجوهنا ليلَ نهار قائلين لنا: "توبوا وارجعوا لتمُحى خَطاياكم".. حتى لا تأتوا أنتم أيضاً إلى موضع العذاب هذا.. ظنّ الغنىّ أنّ لعازر بعد انتقالهِ يمكن السماح له بالعودة وأنّهُ قادرٌ على التبشير بالتوبة والخلاص.. الحقيقة أنّ الذين أنهوا رحلة حياتهم قد تمّتْ رسالتهم وانتهَتْ.. فليتنا كمؤمنين ندرك أن الوقتَ مُقصّر وليتنا ننادى برسالة الخلاص فنحن هنا قادرون بنعمة الله على إنقاذ مَنْ نحبّ مِنَ الأبدية التعيسة "لأنّ الله فى مَحبتِه يُريدُ الجَميعَ يَخلِصُونَ وإلى مَعْرفةِ الحَقّ يقبلون".[5]

عزيزى القارئ: إنْ كنت لمْ تعمل حسابَ أبديتك بعد فسارع قبلَ فواتِ الأوان لأننا لسْنا نعلم متى تنتهى رحلتنا على الأرض ولكنْ ما نعلمُه أنّ كلّ مَنْ يُؤمِن باسم يسوع المخلص لنْ يهلِكْ بلْ تكون له الحياة الأبدية.. أدعوك أخى لتشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. آتى إليك معترفاً بخطاياى راجياً غفرانك فى حقّ الدم الثمين المسفوك مِنْ أجلى على الصليب سائلاً ربّى أنْ تحفظنى مِنَ الشرّ والشرّير وأنْ تمسِكَ بيمينى وتقودَنى باقى أيام غربتى لأعيشَ معكَ وأحيا لك.. أرفعُ صلاتى فى اسم يسوع البار يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبل إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] الرسالة إلى العبرانيّين ٤: ١٢
[2] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ٢ ، الرسالة إلى العبرانيّين ٣: ٧
[3] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٢: ٦ – ٨ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤: ١٧
[4] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٠: ١٤
[5] سفر أعمال الرسل ٣: ١٩ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٤